كاتب من العالم

تقف هذه الزاوية، مع كاتب من العالم في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع القارئ العربي. «مع التوسع الرهيب المحتمل للعالم الرقمي، يمكن أن تُقوّض حرية التعبير الشاملة مفهوم الحرية ذاته»، يقول الشاعر والكاتب الكرواتي المقيم في هولندا لـ «العربي الجديد»

دامِر شودان

كرواتيا أكثر من بلد صغير

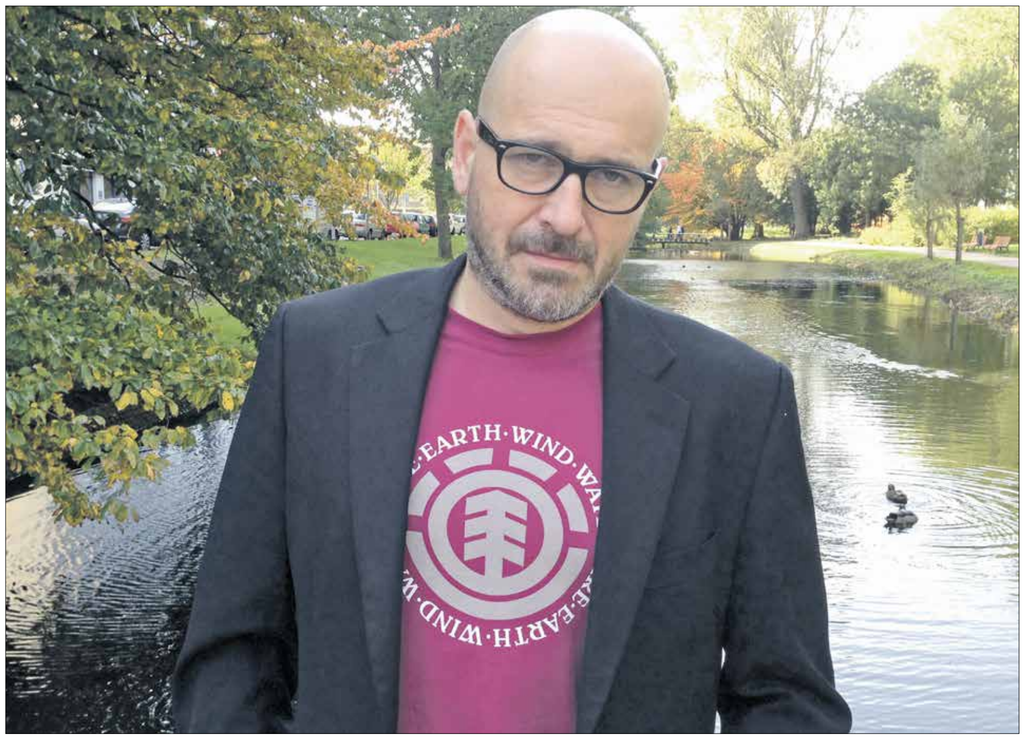
دامر شودان

لأهالي ـ العربي الجديد

■ كيف تُقدّم المشهد الأدبي/ الثقافي في بلدك، خاصة لقارئ ليس على دراية بهذا المشهد؟

المشهد الأدبي الكرواتي كثيف جداً بالفعل ومتنوع بالنسبة إلى بلد صغير مثل كرواتيا التي يبلغ عدد سكانها أربعة ملايين شخص. لقد شهدنا مؤخراً تصاعد الواقعية الجديدة في كل من الشعر والنثر، ممّا يعني من الناحية العملية أن الكتّاب المعاصرين يفضّلون التعامل مع «الواقع» كما نعرفه، بدلاً من اللجوء إلى خلق عوالم خيالية للهروب إليها. أعتقد أن تداعيات الحرب الأهلية اليوغوسلافية الوحشية (1991 - 1995)، التي نالت كرواتيا خلالها استقلالها، لها علاقة كبيرة بهذا التغيير في النموذج الأدبي. في عام 2010، قمت بنشر مختارات من ستمائة صفحة من هذا الشعر الواقعي الجديد. يشهد الحجم الهائل للكتاب على ديناميكيات مشهدنا الأدبي الصغير، ولكن النابض بالحياة على نحو استثنائي. لطالما زَعَمَ الشاعر السلوفيني العظيم الراحل توماش شالامون أن كرواتيا تتمتّع بواحد من أقوى المشاهد الشعرية في العالم.

■ كيف تقدّم عملك إلى قارئ جديد، وما هي الكتب التي توصي قارئك الجديد أن يبدأ بها؟

ينبغي أن أعترف بأنني لا امتلك أي استراتيجية تسويق على الإطلاق، وليس لدي حساب على موقع فيسبوك حتى، لذلك اعتمد في هذا الصدد على كرم أصدقائي والناشرين والقرّاء. نشرتُ لتوي قصائد مختارة في صربيا بعنوان «ساتوري في حيّ ريدلاين» (إنكلافا، بلغراد، 2020) ومن المقرّر أن تصدر ترجمة مقدونية في وقت ما من العام المقبل. لذلك أوصي القرّاء العالميّين بالشيخ الجليل غوغل، والذي يضم قدراً لا بأس به من كتاباتي المنشورة في المواقع الإلكترونية المختلفة.

■ ما هي القضايا التي تدور في ذهنك هذه الأيام؟

لديّ طفلٌ صغير، لذلك أنشغل أغلب الوقت بتطوير استراتيجيات شخصية للتعامل مع جائحة فيروس كورونا المستجدّ، جسدياً ونفسياً. كما أتابع أيضاً أخبار العالم عن كثب بحثاً عن أدلّة قد تشير إلى حل إيجابي لهذه الأزمة الكوكبية، لأنه أصبح من الواضح أكثر من أي وقت مضى أننا نعيش في قرية عالمية وأننا جميعاً نعتمد على بعضنا البعض أكثر فأكثر. بدا فجأة أنّ جميع الحواجز الدينية والعرقية والسياسية والثقافية وغيرها قد تخفّفتْ وكشفتْ عن طبيعتها «الجوفاء» والأيديولوجية. أمل بصدق أن تفتح هذه الأزمة آفاقاً إنسانية جديدة لم تكن موجودة من قبل. ولكننا في نهاية الأمر، وكما قال القديس أوغسطينوس عن إيمان أتباع يسوع الأوائل أنهم يعيشون في «آخر الزمان» وهللويا! (يضحك) ما زلنا هنا، لذلك لا بد أن نكون حذرين ومتفائلين ولننتظر ما سيحدث.

■ إذا تمكّنت من مقابلة شخص ما أو شخصيّة تاريخيّة من الماضي، فمن سيكون ولماذا؟

في الواقع، كرجل في منتصف العمر عاشق لموسيقى البوب، أود على الأرجح أن أقابل جون لينون وأسأله عن سبب طردهم لـ «بيت بست» المسكين من فرقة «البيتلز»، على الرغم من أنني أعرف الإجابة بالفعل، لأنه على الرغم من مظهر بيت الجميل، فقد كان رينغو رجلاً لا يضيّع وقته ويتمتّع بروح الدعابة. أحببتُ لينون بسبب روحه الفنّية الاستثنائية، وموقفه العدائي تجاه المؤسّسة وارتباطاته اليسارية. لا تنس أنه قد أخرج جون سينكلير (الناشط السياسي وزعيم ما يسمى بـ «الفهود البيضاء») في السبعينيات في الولايات المتحدة من السجن بقوة الأغنية الرائعة التي كتبها (لينون) لدعم قضيته. يعيش سنكلير اليوم في أمستردام حيث يعمل - بفضل فريق «البيتلز» - كمنسّق أغان وكاتب أغاني جاز. وفي النهاية هناك قول مأثور مفاده أن من ينقذ حياة إنسان، ينقذ العالم بأسره.

■ ما أكثر ما يعجبك في الثقافة التي تنتمي إليها وما الذي ترغب في تغييره فيها؟

قال أحدهم يوماً إن أفضل مقياس للوطنية الحقيقية، ويا للمفارقة، هو مقدار الإحراج الذي يشعر به المرء تجاه أمته. لذلك يمكنني أن أؤكّد أنني وطني كبير حقاً (يضحك)، لأنني أكره حقيقة أننا أصبحنا في العقد الماضي أضيقَ أفقاً، إذا لم أقل مصابين بالفصام، ولكننا أصبحنا بالتأكيد أكثر كرهاً للأجانب ومحافظين بشدّة أكثر مما سبق. يبدو أن وطنية التسعينيات التي ساعدتنا على كسب الحرب قد تحولت اليوم إلى نرجسية قومية. ولكن قوى التقدم والتنوير، نظراً لعدم وجود مصطلحات أخرى، ما تزال موجودة بقوة في المجتمع الكرواتي، لذلك فإن المعركة بين النور والظلام، إذا أردنا الحديث بلغة الثنائيات، ستستمر لبعض الوقت في المستقبل.

■ إذا كنت ستبدأ من جديد، فما المسار الذي ستختاره في الحياة وما هي الخيارات الأخرى التي ستختارها؟

قال الشاعر والمغني الكندي ليونارد كوهين، والذي ترجمت كثيراً من أعماله إلى الكرواتية، قولاً حكيماً ذات مرة وهو أن الشعر ليس مهنة بل حُكم محكمة؛ لذا، ولكوني أؤمن بالحتمية بقوة، فلا أعتقد أنني أرغب في تغيير أي شيء، ولكنني باثر رجعي، أفضّل أن أكون مغنياً وكاتب أغان بدلاً من كوني كاتباً، فهؤلاء الرجال قادرون على الوصول إلى جماهير أكبر بكثير. كما أن الموسيقى أكثر تجريدية، ومراوغة وغموضاً من الكلمات التي أحياناً تنحو بسهولة نحو «الدعارة»، لا سيما في خطاب الإعلام والإعلان وأخيراً وليس آخراً في السياسة.

■ ما هي أهم التغييرات التي تتمنّاها للعالم؟

ربما كان الانهيار الشامل لـ «الرأسمالية المتأخرة»، والتي تتجذّر عدوانيتها وتناقضاتها في الجشع الخالص، قد دفعت العالم كما نعرفه إلى حافة الهاوية. بعبارة أخرى، كما قال تشي غيفارا: «لنكن واقعيين ونطالب بالمستحيل»، وهل هناك أروع من رؤية المزيد من الانفتاح والتنوّع، وقبول الآخر بكل «اختريّته». لأن كره الأجانب في نهاية المطاف يعني الخوف من أعماق الذات التي تنعكس على الآخرين. أثبتت حركة حياة السود أنه ما يزال هناك مساحة كبيرة للتحسين والارتقاء الاجتماعي. ربما نحتاج في الواقع إلى حركة عالمية للحقوق المدنية، ولكنني أعتقد أيضاً أن غاندي كان محقاً تماماً عندما قال: «كن أنت التغيير الذي تريد أن تراه في العالم!»

■ برأيك ما هو أخطر تحدٍ لحرية الكاتب وكتابته بشكل عام في عالم اليوم؟

أعتقد أنه مع التوسع الرهيب المحتمل للعالم الرقمي، يمكن أن تتحول حرية التعبير الشاملة بسهولة إلى عبء إن لم تكن قيداً خطيرًا على الكتّاب. إن علامات الإنترنيت العالمية (الفوضى والتبدّد والفُقْدُ في المعلومات) في المجال العام لوسائل التواصل الاجتماعي في الغرب، حيث كل شيء مسموح به، تُهدّد بتقويض مفهوم الحرية الفنية الاستثنائية، وموقفه العدائي تجاه المؤسّسة وارتباطاته اليسارية. لا تنس أنه قد أخرج جون سينكلير (الناشط السياسي وزعيم ما يسمى بـ «الفهود البيضاء») في السبعينيات في الولايات المتحدة من السجن بقوة الأغنية الرائعة التي كتبها (لينون) لدعم قضيته. يعيش سنكلير اليوم في أمستردام حيث يعمل - بفضل فريق «البيتلز» - كمنسّق أغان وكاتب أغاني جاز. وفي النهاية هناك قول مأثور مفاده أن من ينقذ حياة إنسان، ينقذ العالم بأسره.

انتمي إلى ثقافة صغيرة اخترعت هويتها من خلال الترجمة

كره الأجانب في نهاية المطاف يعني الخوف من أعماق الذات

■ هل يمكنك أن تحدّثنا عن كاتب منسيٍّ أو غير معروف من ثقافتك تريد أن يقرأه العالم؟

نُشر عدد من كتاب النثر الكرواتيين بنجاح في الغرب في العقد الماضي، ولكن هناك للأسف شاعر كرواتي عظيم، ربما يكون أحد أعظم الشعراء في تراث أوروبا الشرقية والبحر الأبيض المتوسط، وهو غير معروف عالمياً تقريباً واسمه دانيال دراجوجيفيتش (1934).

شخصية شاهقة يكتب شعراً أصيلاً للغاية مستوحى من التقاليد الإيطالية والفرنسية في فترة ما بعد الحرب، وكذلك من تراث فلاسفة متنوعين مثل غاستون باشلار أو لودفيغ فيتغنشتاين، وقد تمكّن دراجوجيفيتش، مثل أوجينيو مونتالي في أيامه، من كتابة شعر طازج جميل يتميّزُ بروح الدعابة في شيخوخته.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

بطاقة

DAMIR ŠODAN شاعر وكاتب مسرحي ومترجم كرواتي من مواليد سيبنيك عام 1964، حصل على البكالوريوس من جامعة زغرب في الأدب الإنكليزي والتاريخ. نشر عدّة مجموعات شعرية ومسرحيات ومختارات من الشعر الكرواتي المعاصر «الواقعي الجديد». تُرجمت أشعاره إلى أكثر من عشرين لغة من بينها العربية والكورية والصينية، وهو أحد محرّري مجلة Poezija (الشعر) في زغرب. يعيش حالياً بين لاهاي بهولندا وسيبنيك بكرواتيا.

تصويب

مراجعات استعمارية

نجم الدين خلف الله

كلّف الرئيس الفرنسي ماكرون المُؤرّخ بانجامين ستورا بكتابة تقرير عن «ذاكرة الاستعمار وحرب الجزائر» وتضمينه مجموعةً من التوصيات تُسهم في مُصالحة الشعبيْن الجزائري والفرنسي وتَنْزَع فتيلَ التوتّر الذي لم يَخبُ منذ سبعين عامًا، على أن يكتبَ عن الجانب الجزائري المُؤرّخ عبد المجيد شيخي، ثم تُقارَن نتائج التقريريْن في سبيل الوصول إلى خلاصاتٍ تصالحيّة. ولكنّ التصريحات التي أدلى بها ستورا، مُؤخّرًا، تشدّدُ من جَديدٍ على «معاناة أطيافٍ كثيرة من الفرنسيين وعلى الأمهم»، ومنهم «الأقدام السوداء» والجنود والحَركيون الذين تضرّروا من هذه الحرب. إذن، يَستمرّ الخطاب الرسميّ الفرنسي في تأكيد «آلام» فرنسا أثناء حرب الاستقلال الجزائرية، في نظريّةٍ تُساوي بينَ الجلّاد والضحيّة، بين المستعمِر الذي غَصَب الأرض وطمْس الهوية، طيلة عقودٍ، وبين المستَعْمَرين، أهل البلد، الذين فَقَدوا من ذويهم مليوناً ونصف مليون شهيد، فضلاً عن إفقارهم وتشويه ثقافتهم.

يبدو مُنطلق المصالحة مغلوطًا والمُصادرة غير صائبة، ولا بد لمثل هذه المُراجعات أن تُبنى على الوقائع البديهيّة، بأسمائها الدقيقة: الاستعمارُ جريمةٌ واحدةٌ، شَملت عمليات إلحاق وضمٍّ وطْمس. كان انهاؤُه بقوة المُقاومة مسارًا شرعيًا لردّ الحقوق، لا إرهابًا ضدّ أبرياء. لا يمكن أن نضع في نفس المستوى ألَمَ الضحايا الذين انتُزع منهم كلّ شيء، وألَم المنتَزِعين الذين أخذوا كلّ شيء. على المُؤرّخ الفرنسي البدء بتعديل مَنطق المراجعة.

إطلالة

لغة الشخصية

معدوح عزام

هل ترتبط لغة المتكلّم بموقعه الطبقي، أم بمكانته الاجتماعية، أم بالمستوى الثقافي الذي استطاع تحصيله؟ أم بشخصيته المختلفة عن الآخرين؟ يُمكن متابعة السؤال أكثر من ذلك؛ فالخلاف حول طبيعة اللغة التي ينطق بها كلّ واحدٍ منّا لا يزال قيد الدرس، أي قيد الاختلاف. للفلّاح لغته وللعامل لغته، وللتابع لغته أيضاً، نرى هذا اليوم في الصحافة، وقد ازداد عدد الأتباع هذه الأيام، كما نراه في وسائل التواصل وفي الفضائيات.

تكمن صعوبة الكتابة عن لغة الشخصية، بوصفها تمثيلاً لفئة أو شريحة أو طبقة اجتماعية، بسبب التنوُّع الكبير للطبائع البشرية، والملاحظ أن النقد العربي، والروائي العربي أيضاً، متساهلان تجاه الأمر، ذلك أن المضمون أو الرسالة التي يُراد تبليغها تتضمّن تجاهُل مثل هذه المطالب الفنية والفكرية، وهناك احتمال أن يكون الروائيّون بعيدين عن معرفة اللغات المختلفة لشخصياتهم، وهو أمر صعب التنفيذ في واقع الحال، إذ إنه يتطلّب معرفة عميقة وواسعة بلغات الشخصيات بحسب طبائعها ومواقعها وانتماءاتها وولاءاتها. ولا يملك النقّاد أيضاً العدّة الكافية لفحص هذه العلاقة، بسبب المصاعب نفسها التي تعترض الروائيّين من جهة، وبسبب التقاعس أحياناً.

يقترح باختين في كتابه «الكلمة في الرواية» أن يتم إدخال تعدُّد اللغات والآفاق الكلامية المتّصلة بالأجناس والمهن الفنوية والاتجاهات والحياة اليومية (لغة النميمة وثرثرة المجتمع الراقي والخدم) إلى الرواية. وقد استُخدمت نظرية باختين عن التنوُّع الكلامي كثيراً في النقد العربي المعاصر لإدانة الرواية أحياناً، لا لتقديم المشورة. غير أن المشكلة التي تعترض الروائي أكبر من الاستماع إلى ناقد مهمّ كباختين أو نقّاد يتبنّون رأيه، وهي: كيف يمكن التعرُّف إلى تلك اللغات في الواقع من جهة، وكيف يمكن نقلها إلى رواية لا تقرط بفنّ الكتابة من جهةٍ ثانية؟

إليكم هذه المشكلة التي قد ينشغل الروائي بنقلها إلى الفن: هناك ثلاث لغات يمكن ملاحظتها لمن يتولّى منصباً ما في بلادنا: لغته قبل تولّي المنصب، وغالباً ما تكون مرائية ومنافقة وتعتمد على ما يُسمّى مسح الجوخ، ثم لغته أثناء تولّي المنصب، وهي لغة متعالية وآمرة وربما تتّصف بالقسوة تجاه مرؤوسيه، ثم لغته بعد إقالته (لا أحد يستقيل بالطبع فهو موقف يحتاج إلى لغة رابعة غير متوفّرة لدى غالبية السياسيّين). ومن الطرائف المعروفة في الحياة السياسية السورية أن كثيرين ممّن وصلوا إلى المناصب الحكومية، كانوا يتبنّون لغة راديكالية معارضة ناقدة تبدأ في اكتشاف تلك العيوب والأخطاء التي كانت موجودة وحاضرة بقوّة يوم كانوا مسؤولين.

يقدّم الواقع كثيراً من العيّنات المناسبة لمثل هذه الملاحظات. خُذ أوضاع المحلّلين السياسيّين الآتباع في محطّات التلفزيون الذين تتلوّن تحليلاتهم بحسب ألوان الجهة التي تموّل الكلام. لكن المشكلة أمام الروائي أكثر تعقيداً، إذ يقف حائراً أمام السؤال: كيف يختار من يمثّل جوهر كلّ تلك الشخصيات؟ غالباً ما يزدري الناس المنافق مثلاً في الواقع، الصعوبة هي كيف يمكن أن يكون شخصية رئيسية في رواية ما، أي «بطلاً» روائياً.

(روائي من سورية)

في سبيل استرداد بعض القوى التحرّريّة الكامنة في اللغة

عودة إلى العظام العارية للمفردات

اعتقد ان الشعراء اليوم لا يحتاجون حقاً إلى إضافة المزيد من الاشياء الافتراضية للواقع الافتراضي، الذي نعيشه اصلاً عن طريق اللغة الشعرية

من «سبليت» بكرواتيا، مدينة الشاعر (Getty)

في إجابته عن سؤال «العربي الجديد»، عن الموقف الذي يدافع عنه في عمله وعن ماهية أسئلته واهتماماته الرئيسة، يُجيب دامر شودان: «يمكنني القول إنني أميل نحو التعاطف الوجودي والحفاظ على الحريات الفردية. ويصفتي هيبيّاً قديماً عاش العصور الشيوعية في يوغوسلافيا السابقة ثم هاجر إلى الغرب ليقضي معظم حياته الراشدة في هولندا الليبرالية، لا يمكنني رؤية نفسي معتنقاً آراء أي سياسيّ تقليدي أو أي وجهة نظر روحية باستثناء النظرة الخاصة بالتنوير الأوروبي العريق، هذا إذا كنت أريد أن أكون صادقاً مع تجربتي الشخصيّة. ما زلتُ أحبّ بلدي، ولكنني أكره المشهد السياسي فيه، ويبدو أن مسرحياتي تميل إلى النقد الشديد للمؤسسة السياسية الكرواتية والكنيسة الكاثوليكية».

يوافق الكاتب الكرواتي على القول الذي يرى أنّ «الأدب العالمي يكتبه المترجمون»، معتبراً أنه ينتمي إلى ثقافة صغيرة اخترعت هويتها من خلال الترجمة وعن طريقها، موضّحاً: «تلقّى الكرواتيون معظم الأعمال الثقافية، من الكتاب المقدّس إلى شكسبير، عن طريق الترجمة. كان معظم الكتاب الكرواتيين في أيام عصر النهضة يتحدّثون لغتين، فيكتبون باللغة اللاتينية وبلغتنا الكرواتية العامية.

ومما يدعو للدهشة أن أحد هؤلاء، وهو ماركو ماروليتش (1450 - 1524)، كان قد تُرجم بالفعل في ذلك الوقت إلى اليابانية وقد صدرتْ له عدّة طبعات هناك».

وعن علاقته باللغة التي يكتب بها، يستشهد شودان بمقولة هايدغر «اللغة بيت الوجود»، مضيفاً: «أعتقد أنه طالما أنني أستطيع التمسّك بلغتي الأم، يمكنني الشعور بأنني في وطني أينما ذهبت. سافرت حول العالم كثيراً وعشت كمغترب لسنوات عديدة ولم يخطر ببالي مطلقاً أن أجرّب التحوّل للكتابة بأي لغة أخرى.

ربما تكون هذه الرابطة اللغوية في حالتي أساسية وعميقة لدرجة أنني لا أستطيع الاحتفاظ بها بأي طريقة أخرى».

نخلص منه، في النهاية، كلمة للقارئ العربي الذي قد يكتشف كتاباته اليوم، فيجيب: «من فضلك لا تتضايق من عدم وجود الكثير من الزخارف اللفظية في عملي أو افتقاره إلى الاستعارات (البارعة). أعتقد أن الشعراء اليوم لا يحتاجون حقاً إلى إضافة المزيد من الأشياء الافتراضية للواقع الافتراضي الذي نعيشه أصلاً عن طريق اللغة الشعرية. ربما يكون ما نحتاجه في الوقت الحاضر في الشعر العودة إلى (العظام العارية) للمفردات، وإعفائها من أي زخرفة غير ضرورية. ينبغي على المرء أن يسعى إلى تحقيق الوضوح تقريباً في التعبير على نحو أشبه بالطب الشرعي في سبيل استرداد بعض القوى التحرّريّة الكامنة في اللغة».

شذرات

في الشعر ليست للاشياء هوية ثابتة او دلالة نهائية. الاشياء في الشعر ذات هويّة متحرّكة او على الاقلّ ذات قابلية للتحوّل بقوّة التاويل وبفعل تنوّع القرّاء. ما دامت القراءة هي لقاء لحظتين ومخيّلتين بل ذاتين، لقاء يتكرر ويتجدّد مع كلّ قارئ. ما يفضي الى القول انّ القارئ يُعدّ اساسيّ من ابعاد النصّ.

خالدة سعيد ـ «فيض المعنى»

تحفّز ازمة مجتمع ما مسارين متناقضين: الاول البحث عن حلول جديدة تحفز الخيال والابداع، والثاني البحث عن الخلاص بالعودة الى استقرار ماضٍ وبالتعلّق بمنقذ قدري، وكذلك بإدانة او حرف مذنب ما. يمكن ان يكون هذا المذنب قد تسبّب في اخطاء ادت الى الازمة او انه مذنب خيالي، اي كبش فداء، يجب التخلّص منه.

إدغار موران ـ «في مفهوم الازمة»، ترجمة: بديعة بوليلة

من اجل إنقاذ النص، اي نقله من وضع الحاضن لدلالة ما والعودة به الى طابعه اللامتناهي، على القارئ ان يَتخيّل انّ كلّ سطر يخفي دلالة خفية. فعوض ان تقول الكلمات، فإنّها تخفي ما لا تقول. انّ مجد القارئ يكمن في اكتشافه انّه بإمكان النصوص ان تقول كلّ شيء باستثناء ما يودّ الكاتب التدليل عليه.

امبرتو إيكو ـ «التاويل بين السيميائيات والتفكيكية»، ترجمة: سعيد بنكراد

لهذا السبب تظل صغيراً وبائساً، ايها الرجل الصغير. انّك لا تكتفي فقط بعدم تقديم المساعدة، بل انّك تزعج في حيث... اتفهّم الآن لماذا تهرب السعادة منك؟ ان السعادة تريد ان تتم دراستها بعمق، ان يتم تحقيقها! لكنك تريد فقط ان تفترسها، ولهذا السبب تهرب منك، ذلك انها لا تريد ان تُفترس من طرفك.

فيلهلم رايش ـ «خطاب الى الرجل الصغير»، ترجمة: رشيد بو طيب